مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية ISSN :2353 - 0499
المجلد1 ، العدد2، (جوان 2013) EISSN :2602 -5264

النقد الفينومينولوجي

الأستاذة حمر العين زهور

جامعة تيارت

لقد عرف تفكير هوسرل تحولا منذ ظهور الجزء الأول من كتاب أفكار (1913) من النزعة الأنطولوجية إلى النزعة النقدية، حيث بدأ ينظر بعين الرضا لفلسفة الألمانية خاصة فيشته وكانط ، هذا الأخير الذي يظهر عداء هوسرل له من خلال ما يسميه بعض الدارسين لهوسرل ب" أحكام كانط المضادة للأفلاطونية " - إذ تستبعد فكرة إجتماع ترسندنتالية أفلاطونية ستاتكية وثورة كانطية في فكر هوسرل - وهو موقف عرّف بتبنيه خلال تأثره بنفسانية برنتانو.

إن هذه المصالحة جاءت من خلال رؤية فينومنولوجية لتفكير كانط ، فيمكننا بذالك عد الفلسفة الفينومينولوجية إمتداد لفلسفة نقدية - على نحو أوسع من ذلك الذي بينه كانط - فهوسرل سعى إلى بناء فلسفة متعالية - ترسندنتالية - وذالك بإعادة تأصيل للمنعطف الترسندنتالي . هذا القصد أدى بهوسرل إلى ضرورة البحث في شروط التفكير وشروط نقد المعرفة ، وهو المبدأ الأساس في النقدية الكانطية .

إن الهدف من هذه المقاربة الكانطو-هسرلية التي جاءت نتيجة وحدة الغاية في بلوغ فلسفة ترسندنتالية - ليس إلّا إيضاح البعد النقدي في تفكير هوسرل . فحيث وجد كانط نفسه ما بين النزعة التجريبية و النزعة العقلية ، وجد هوسرل نفسه أيضا بين نزعتين وضعية و اللاعقلانية ، ومن هنا سيكون ميلاد الفينومينولوجيا التي استحقت ميلاد عقلا جديدا ، فتزاح الأفكار القبلية على شاكلة الشّك الديكارتي القائم على الأنا المفكر - بل حتى يتجاوزه إذ يعلق هوسرل مسلمة وجود الأنا المفكرة - ثم رد العالم إلى الذات كما فعل هيوم .

لا شك أن المفاهيم مثل الإيبوخي [1](تعليق الحكم) ، الأزمة ونسيان العالم المعيش توحي بحركة نقدية منذ النشأة الأولى للفينومينتولوجيا فكان نتيجة ذالك كتاب " أزمة العلوم الأوروبية ، حيث ينتقد النزعة الموضوعية ، ويحذر من خطورة نسيان عالم العيش . اللّذان يقفان عائقا دون قيام الفلسفة كعلم صارم ، فلسفة متعالية جذرية بحق ترفض الركض وراء معطيات الوعي ، وتدع الأشياء تكشف عن ذاتها ، فتظهر على ما هي عليه دون ان يكون معناها هو ما أشرنا إليه نحن .

ميلاد الفينومينولوجيا

حيث كانت الفلسفة ممزقة بين النزعة الوضعية الناظرة إلى الأشياء نظرة تجريبية ،لا تؤمن بالحدس، نزعة تتخذ النسبية قمة حقيقتها، والنزعة ذاتية لاعقلانية نزعة لا تمتلك منهجا تأسيسيا تفرض به نفسها كمعرفة حقيقية ، فيما بين هاتين النزعتين التي جاءت كرد فعل للفكر العقلاني والميتافزيقي ، ولدت الفينومينولوجيا - فينومينولوجيا هوسرل- كفلسفة تبحث عن تخليص العلوم الإنسانية من هذه الأزمة التي عصفت بالفكر الفلسفي في مطلع القرن العشرين

لم تكن بداية هوسرل في رحلة بحثه عن الحقيقة ، وإنقاذه للفلسفة إلّا بحركة نقدية إذ بدأ من حيث إنطلق فيلسوف العقلانية رونيه ديكارت " بأن أزاح كل الأفكار والمنطلقات السابقة للذات عن حقيقة الأشياء ووضعها أمام المساءلة من جديد[2]، ارتبطت فلسفة هوسرل بأزمة العلوم الإنسانية، سيكولوجية كانت أم اجتماعية أوتاريخية، أين قام علماء النفس بالتفسير النفسي المتطرف ومثل ذلك علماء الاجتماع والتاريخ فلم تعد الأفكار والمبادئ الموّجهة للوعي إلاّ نتاجًا لعلل خارجية, مما يجعل الأسباب التي يقررها المفكر أنّها

[1] : أخذه هوسرل من النزعة الشكّية القديمة ويدل على الإجراء المنهجي الذي يتيح EPOCHE للفينومينولوجيا الانتقال من الموقف الطبيعي إلى الموقف الفلسفي الترنسندنتالي .
ونقصد بالإيبوخي الترنسندنتالي : موقفا اعتياديا نعزم عليه بصفة نهائية فهو ليس موقفا مؤقتا يبقى في تكراراته عرضيا ومنفردا .

[2] - غيورة فريدة ،اتجاهات وشخصيات في الفلسفة المعاصرة ،دار الهدى للطباعة والنشر ،عين مليلة ،الجزائر ،د(ط) ،2002 ،ص197.

الأسباب الحقيقية ، ليست كذلك بالفعل لأنّ مثل هذا التقرير لا يمكن تفسيره إلا بالعلل الخارجية التي حفّزت المفكر على تبنيها، لتصبح بذلك النتائج في هذه العلوم نسبية وسرعان ما تمتد إلى الفلسفة.

لذا أثار هوسرل مشكلة أصل العلم والفلسفة لأجل تبيين المعقول واللامعقول ، أيضًا استبعاد العناصر اللاعقلية[1]. **يقول هوسرل:"إنّ الفينومينولوجيا كانت الفلسفة التي تستحق ميلاد جديد للعقل، وهي دراسة الظواهر التي تظهر أمام الوعي أي شعار " العودة الى الأشياء ذاتها"، كما تبدو أمام الوعي وقد رفضت الفينومينولوجيا على خلاف المذهب الطبيعي النظر الى العالم على أنّه مستقل عن الوعي ،لأنّ العالم مفهومًا يتلازم مع الوعي"**[2].

من أجل قيام الفلسفة كعلما صارما علما برهانيا ، دقيقا بكل ماتحمله الكلمة من معنى يجب مراعاة نقطتين أساسيتين : ففي البدء يجب تعليق كل الأحكام والفروض السابقة ، أي رفض كل ماليس مبرهنا برهانا ضروريا، **ثم** : "الذهاب إلى الأشياء أنفسها ، أي إلى الأشياء الظاهرة في الشعور ظهورًا بيّنًا."[3]

إن وقائع الفكر هي موضع الفلسفة الفنومينولوجية بحيث تتناولها بالدراسة الوصفية كما نحياها على مستوى الشعور ، تسمح هذه الدراسة برؤية " الظواهر كما نعيشها في تجاربنا الداخلية المباشرة ، دراسة وصفية للوصول إلى ماهية الظاهرة، وهي ماهية تختلف عن مفهومها لدى الفلاسفة السابقين."[4] **ويقول هوسرل :" إنّ كل من يرغب أن يصبح فيلسوفًا عليه مرة في الحياة أن يرتد إلى ذاته ، ويحاول ضمنها أن يهدم كل العلوم التي تبدو له حتى ذلك الحين صحيحة ومن ثم بناءها من جديد ".**[5]

لقد تولدت فكرة الفينومنولوجيا نتيجة معايشة هوسرل لثورتين علميتين الأولى مع أستاذه فيرستراس(1810-1893) في العلوم الرياضية والثانيه مع برنتانو في العلوم

---

[1] - سليم سلامة يوسف ،الفينومينولوجيا المنطق عند إدموند هوسرل ،دار التنوير للطباعة والنشر ،د(ط) ،2007 ،ص189.

[2] - علا مصطفى أنور ،علاقة الفلسفة بالعلوم الإنسانية ،دراسة في فلسفة ميرلوبونتي ،دار الثقافة للنشر والتوزيع ،القاهرة ،د(ط) ،1994 ،ص ص46 -47.

[3] - كرم يوسف ،تاريخ الفلسفة الحديثة،دار المعارف للنشر ،القاهرة،ط5،دس.

[4] - مصطفى إبراهيم إبراهيم،نقد المذاهب المعاصرة ،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع ،الإسكندرية ،د(ط) ،1999 ،ص239.

[5] - خوري أنطوان ، مدخل إلى الفلسفة الظاهراتية ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان ،ط1 ، 1984، ص 204.

الانسانية. بدأ هوسرل فكره بالدّخول في المعارك الدائرة في فيينا حول طبيعة الرياضيات وماهيتها فشارك في حل المسائل المعروضة ،قدّم حلوله في رسالته للدكتوراه الأولى " **مساهمة في حساب المتغيرات** "في فيينا سنة **1882** ، **والثانية "مفهوم العدد"** في هاله سنة **1887** ، كانت " **فلسفة الحساب"** العمل الفلسفي الأول والذي يحاول فيه رد المفاهيم الرياضية الى أسس صورية محضة، لقد كان هوسرل من أنصار الإتجاه النفسي في المنطق والرياضيات وهو ما سيرفضه بعد ذلك في الجزء الأوّل من" **بحوث منطقية** " أين تناول هوسرل مشكل **"الكل والجزء** "قبل أن يعالجها في المنطق ،كما دخلت كثيراً من المفاهيم الرياضية في الفينومينولوجيا مثل **الكيمياء الخيالية، المضمون الأوّلي** ،**العدد، الحكم** وكذلك التمايزات بين المضمون النفسي والمضمون المنطقي، يكون بهذا هوسرل أراد أن يحل أزمة الرياضيات بإرجاعها الى علم النفس، كان ذلك مقدمة لاكتشاف البعد الشعوري فما بعد[1].

تعرف هوسرل على كتاب **بولز انو(1781-1848)** في" نظرية العلم "من خلال برنتانو فحلل منطقه الرياضي فيه وناقش نظرية الفكر عند **ميمل mehmel** ، لكن هذا المنطق لم يستطع بعد أن يشق طريق الفينومينولوجيا لأنّه لم يستطع البحث عن الماهية بالحدس القبلي وإقامة الفلسفة وعلم النفس على معرفة الماهية فغياب حدس الماهيات في المنطق الرياضي جعله مجرد منطق خالص للتمثلات كما هو الحال في علم النفس ،أو جعله صوريًا كما هو الحال في الرياضيات[2].

حين حاول دلتاي في فلسفة الحياة أو تصورات العالم المادي إيجاد حل لأزمة العلوم المادية التي اعتبرت ميدانها عالم الحياة ، وهو العالم الذي نظّرت له الفينومينولوجيا،" كما فرّقت بين علوم الإنسان وعلوم الطبيعة، وهي التفرقة التي سماها هوسرل بالتفرقة بين **علوم الماهيات وعلوم الوقائع**، فرفض هوسرل هذه الفلسفة كونها لم تتجاوز المذهب التاريخي، بذلك كانت أسيرة " **روح العصر"** الذي تصوّره هيجل أنّ الفلسفة تعبير عنه ، فهي مازالت مشوّهة بالوقائع المادية ولم تصل إلى علم الماهيات"[3]. فكانت علم نسبي وانتهت إلى الوقوع في الاتجاه الطبيعي، وأصبحت اتجاهًا نسبيًا .

---

[1] - حنفي حسن ،في الفكر الغربي المعاصر ،المؤسسة الجامعية للدراسات و التوزيع و النشر ، بيروت ،الحمراء ،ط4 ،1990 ،ص ، ص249 - 250 .

[2] - المرجع نفسه ،ص251.

[3] - حنفي حسن ،في الفكر الغربي المعاصر،ص251 .

لقد جاءت محاولة هوسرل لحل أزمة العلوم الإنسانية إثر محاولته حل أزمة علم النفس التجريبي التي تطرق إليها **لبرنتانو(1838-1917)** إذ حاول قبلا وضع أسس لعلم النفس الوصفي الذي يميز ، ويفرق بين الظاهرة النفسية والظاهرة الفيزيقية حتّى يحل أزمة علم النفس التجريبي ويقضي على سيادة الإتجاه الطبيعي في العلوم الإنسانية .

لقد ارتبطت الفينومينولوجيا في بدايتها بعلم النفس الوصفي بل كانت كذالك إذ وصف برنتانو لأوّل مرة بناء الشعور على أنّه قصد متبادل، وهذا قبل أن تستقل كعلم خاص، ورغم هذه المحاولة من برنتانو التخلص من أثار وشوائب الإتجاة التجريبي الطبيعي إلّا أنه لم ينجح في نظر هوسرل ، ولم تتخلص التجربة من ماديتها لترتقي عنها، "ولم يكن علم النفس الوصفي حدسًا للماهيات المستقلة ظل بذلك قاصرًا على التفرقة بين الإدراك الداخلي والإدراك الخارجي**(أي بين الظاهرة النفسية والظاهرة الفيزيقية)**، لذا اقترحت الفينومينولوجيا تصنيف الأشياء على أنّها إمكانيات خالصة للشعور، لم يمارس**" تعليق الحكم"** أي يبين تحليلاً للماهيات"[1].

إن عدم التعرف على المعنى الحقيقي للقصد المتبادل يعود إلى إهمال الأسس الذاتية، فكان أن نتج عن ذالك عجز عن تحقيق مشروع الفلسفة الحديثة ، أي إقامة علم الذاتية الترنسندنتالية، أستطاعت الفينومينولوجيا أن تشق طرقها من وسط المنطق وعلم النفس ، إذ أثبت هذا الأخير أنه عاجزا أن يصير فينومينولوجيا ، لقد كان هذا الطريق الآخر هو **طريق الشعور**، طريق الشعور الذي خلص علم النفس من ماديته والمنطق من صوريته، أين أصبح علم النفس مادة للشعور والمنطق صورة له ويحاول هوسرل بهذا الانتقال من المنطق النفسي إلى الفينومينولوجيا وذلك في **"بحوث منطقية" (1901-1902)** ،فحوّل المضمون النفسي الى تجربة حية في الشعور ،كما رفض النظريات الحديثة في التجريد التي تسببت في إفلاس الفلسفة والعلم ،أعني نظريات **هيوم، لوك، ومل** والتي تنكر وجود الموضوعات العامة، كما فصل في شكل الكل والجزء واعتبر أنّ الكل سابق على أجزائه ثم انتهى هوسرل الى المنطق الشعوري الذي يقتصر على تحليل التجارب ومضامينها ،فالشعور في نفس

الوقت هو الأنا الخالصة والإدراك الباطني، لذلك كانت التجربة الحيّة قصدًا متبادلاً يضم الأنا الخالصة ومضمونها معًا، فأصبحت وظيفة الحكم هي وضع أفعال الشعور في

[1]. -المرجع نفسه،ص252 .

تمثلات تقوم هي نفسها بوضع أُسس له، لينتهي بتحويل المنطق الى فينومينولوجيا ويحلل القصد المتبادل ويبين طرق ملئه[1].

جاءت الفلسفة الظواهرية من أجل التخفيف من حد هذه الأزمة داعية الى التثبت بعلم جديد يهدف الى حل المشكلات الإنسانية والفلسفية[2]، لذلك فإنّ تجاوز أزمة العلوم يمكن في إعادة ربط البحث العلمي بآفاق العالم اليومي ، الأمر الذي يتطلب حسب هوسرل إنشاء علم فلسفي يهتم بالعالم اليومي. يبين كيف أنّ العلوم الموضوعية تتأسس على التجربة اليومية ، لأنّ الفينومينولوجيا عندما تنشأ علمًا بالعالم اليومي وتبرر كيف يتأسس هذا العلم بالنسبة للوعي، ستكون قد حققت الفكرة الأصلية للفلسفة .

نقد النزعة الموضوعية

إن التطور الذي عرفه البحث العلمي أدى إلى افتراض صياغة الطبيعة صياغة رياضية مطلقة واعتبارها وجودا مستقلا عن الذات فتتحقق بذالك النزعة الموضوعية .التي هي من وجهة نظر هوسرل المحور الرئيس لأزمة العلوم الأوربية فهذه الأخيرة خطت بالإنسان باتجاه القوانين الصارمة والبناءات المثالية متجاوزة بذالك عالم العيش .

يبدو لنا للوهلة الأولى عند النظر إلى عنوان " أزمة العلوم الأوربية " إلى وجود مفارقة بين الدّال والمدلول ف"الأزمة" تشير إلى التراجع ، الانحطاط ، التدهور ، والعالم الوضعي بما يقدمه من دلالات تنم عن عطاء علمي مبهر هذا البرادوكس paradoxe يطرح أزمة العلم لا بالمحمولات الآنفة الذكر بل بفقدان العلم روح الإنسية ونسيان عالم العيش ، العلم كمعرفة جاءت لتنظيم العالم في سلسلة محكمة الحلقات ذات تراتبية نهائية أو لانهائية بحسب درجات البحث " فالإنقلاب الذي حصل مع نهاية القرن الماضي في التقييم العام للعلوم ، إنه لا يتعلق بعلميتها ، بل بالدلالة التي كانت تتخذها ، بالدلالة التي كان العلم عموما يتخذها ، والتي يمكن أن يتخذها بالنسبة
للوجود البشري. إن رؤية الإنسان الحديث للعالم تحددت كلها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر من قبل العلوم الوضعية وحدها ، وانبهاره بالازدهار الناجم عن هذه العلوم ، وهذا ما أدى

[1]. - حنفي حسن، في الفكر الغربي المعاصر،ص ص253 -254 .
[2]. - غيورة فريدة ،اتجاهات و شخصيات في الفلسفة المعاصرة ،ص55 .

إلى الإعراض في لامبالاة عن الأسئلة الحاسمة بالنسبة لكل بشرية حقة "[1] ولهذا ينتقد هوسرل الفيزياء النيوتونية كموجّه للفلسفة الحديثة باعتبارها تصوغ الطبيعة صياغة رياضية.

بتأسيس الفلسفة والعلم على النزعة الموضوعية يُستبعد العالم المعيش ، ويصبح العالم موضوعا كليا يشمل قطاعات يمكن أن لا ترابط فيما بينها ، فارغة إلّا من الضرورة التقنية. عالم تحدده أفكار سابقة قد لا تعنيه ومع ذالك تسهم في بنائه فيفرغ المعنى من محتواه ، وتصير المعرفة نحو تخصيص أكثر بل وتجريد أكثرلم يعرفه فلاسفة الإغريق ولا فلاسفة العصر الوسيط . فهوسرل في كتابه " المنطق الصوري والمنطق المتعالي " بين أن أسمى معاني الصورية لم تنشأ في اليونان أو العصور الوسطى بل كانت في العصر الحديث مع فييت في تأسيسه للجبر ، وبالتالي إضفاء التقنية على العدد لتبلغ هذه التقنية أوجها في الرياضيات الشمولية لليبنتز

إن الثورة العلمية التي عرفها القرن السابع عشر أدت إلى ترييض الطبيعة و إحلال مفهوم الانفتاح واللانهاية محل الانغلاق والنهاية الإغريقيين ، حل المكان الرياضي المتجانس محل المكان الأرسطي مما سيؤدي في النهاية إلى غياب القصد أو الغاية الأرسطية

إن لباس الأفكار الذي هو " الرياضيات وعلم الطبيعة الرياضي " أو أيضا لباس الرموز لباس النظريات الرمزية " يشمل كطبيعة واقعية موضوعية " كل ما يمثل بالنسبة للعلماء ، وكذالك لكل من له تكوين ثقافي عالم العيش ، ويغلقه بتنكر"[2] بمعنى اختزال العالم إلى مجرد عدد أو أي صورة رمزية بعيدا عن تفاعله مع الذوات.

إنّ البرنامج الفينومينولوجي يكمن في تطهير الفلسفة والعلم من هذه النزعة الموضوعية التي وقعت ضحيتها الثقافة الأروبية فابتعدت بذالك عن فكرتها الأصيلة**(الموضوعية)** وتحقيق الفكرة الأصلية **للفلسفة كعلم صارم**[3]، والتي تلغي مرض **نسيان عالم الحياة اليومية**، لأنّ الأهمية من إبراز الطابع التقني للعلوم الحديثة وأثرها

---

[1] إدموند هوسرل ، أزمة العلوم الأوربية، ص44

[2] المصدر نفسه ،ص 108

[3] - مصدق إسماعيل، الفلسفة في عصر العلم والتقنية، نظرة فينومينولوجية، توفيق رشيد للأبحاث والدراسات الفلسفية، المغرب، د(ط،س)،ص13 .

على الإنسان وعلى كل المجالات بوصفه الأسلوب الوحيد الممكن للتفكير.الذي يعتبر نفسه الأسلوب الوحيد الممكن للتفكير

والحياة، وكأنّ مشاكلنا يمكن حلها بممارسات تقنية، يكون الإنسان بذلك عاجزًا عن إبداع آفاق جديدة للمعرفة والفعل، كما يعجز عن ابتكار إمكانيات جديدة لوجودنا ولحريتنا، لذا يجب على الفلسفة أن تنتقد هذه العلوم لأنّ هذا النقد يقودنا إلى إدراك العلوم التقنية في حدودها والتنبيه إلى المخاطر التي تنجم عن تحول هذه العلوم الى غاية في ذاتها بدل أن تكون مجرد وسيلة، لكن على الفلسفة أوّلاً أن تتحرر من **التوجه العلمي-التقني** ثم تعود الى الأشياء في ذاتها[1]، وبهذا تصير **الفلسفة علمًا دقيقًا**، فماذا يعني هوسرل بهذا الاسم ؟ وما الذي يجعل الفينومينولوجيا علما ؟

الفلسفة علمًا دقيقًا

إن المشكلة التي صادفها هوسرل بحق هي كيف يجعل من الفلسفة والعلوم الانسانية ككل علما من جديد إذ أنها بصورتها هاته لا تعد علما .إن استشعار هوسرل لهذه المشكلة جعلته يطالب و يعيد التفكير في أُسسها وفي أسس العقلانية، هذه الأنظمة أصبحت في موقف أزمة دائمة لن تخرج منها إلاّ بعد توضيح جديد للعلاقات الخاصة بها ولطرق معرفتها ،وهذا بجعلها ممكنة فنقول أنّ العلم وعلم الإنسان ممكن والفلسفة ممكنة أيضًا وكما يقول هوسرل في محاضراته **عن "أزمة العلوم الأوروبية"** في بلغراد **أنّ مهمة الفيلسوف أن يعمل في خدمة الإنسانية "FONCTIONNAIRE DE L'HUMANITE"**.[2]

يقول إدموند هوسرل :" لست أنا الذي يهم ولكنني على يقين بأنّ الفلسفة في حاجة الى هذه الأفكار ،إلى هذه المناهج التي أكتشفها شيئًا فشيئًا...إنني مقتنع بأنّ هذا هو الطريق الذي بإمكانه أن يسمح بولادة حضارة مؤمنة ضد كل المذاهب الشكّية "،ومن هنا حمل هوسرل على عاتقه أعظم مهمة تاريخية وإنسانية معًا، وهي محاولة إنقاذ الفلسفة ومعها الحضارة والتاريخ من الوضعية المزرية التي وصلت إليها، بسبب فقدانها لوحدتها في كل شيء ،إذ وجد هوسرل الفلسفة في وضعية مماثلة لتلك التي وجدها عليها ديكارت في عهده ،فكأنّ التاريخ يعيد نفسه ، وكأنّ ديكارت آخر يتنفس روح الراديكالية

[1]. -المرجع السابق ،ص ص14 -15.

[2]. - علا مصطفى أنور ،علاقة الفلسفة بالعلوم الإنسانية ،ص ص48 -49.

الفلسفية حيث **يقول :" ألا تكمن النهضة الوحيدة المثمرة حقًا في إحياء التأملات الديكارتية ؟"**[1].

إن الفلسفة التي يدعوا إليها هوسرل هي ليست فلسفة إعادة بل تجديد ،هي علم دقيقا ينشأ داخل الفلسفة ذاتها؛هي المجال الذي لا نهاية له، هي ما يسميه بالفينومينولوجيا الخالصة ،انطلاقًا من هذه الفينومينولوجيا يجب أن تتأسس جميع أفرع الفلسفة لأنّ الفلسفة ستصبح علمًا إذا تأصّلت من هذه الفينومينولوجيا الخالصة[2].

إنها ليست ركام معرفي بل تصحيح، نقدوإعادة بناء، بل هي تعديل وجهات النظر أو أنّه توجيه لملاحظتنا التي تنصرف عن الحقائق التجريبية، نحو هذه الخاصية، وهي أنّها موضع تجريب، فالفلسفة هي التحرر من الانبهار[3]، لهذا اقترح هوسرل وضع العالم بين قوسين فتخرجه من نطاق ملاحظتنا العقلية، فنحلل بها الظواهر الحقّة التي نحياها في شعورنا.[4] وبهذا تكون الفلسفة علما وصفيا دقيقا، وهنا نجد أنفسنا على طريق نقيض من تلك الحلقات العقلية الطويلة التي أراد ديكارت أن يزود بها الفلسفة.[5]

إن الفينومينولوجيا الخالصة هي العلم الخالص للظواهر الذي لا يمكن أن تبلغ معرفتها فيها أوجها ما لم تظهر ذاتها للذات العارفة." أي لم تجر هذه الذات على ظاهرة لهذه الأشياء، والظاهر يحمل معنى داخل الوعي يكون أساسًا للحكم بواقعه"[6] **يقول هوسرل :" نحن متفقون مع كانط تمام الاتفاق على أنّنا مضطرون إلى تحقيق الفلسفة الترنسدنتالية، لا بروح نظرة عامة إلى العالم تتلاءم مع احتياجات العصر ومطالبه، بل بروح علم دقيق نحو فكرة الصحة المجددة "**[7]، إن أكثر ما هدد البشرية

---

[1] - بونفقة نادية ،فلسفة إدموند هوسرل ،نظرية الرد الفينومينولوجي ،تقديم : عبد الرحمن بوقاف ،ديوان المطبوعات الجامعية ،بن عكنون ،الجزائر د(ط،س) ،ص ص35- 36.

[2] - مصطفى عادل ،فهم الفهم ،مدخل إلى الهرمينوطيقا ،نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادامير ،دار النهضة العربية للنشر ،بيروت، لبنان ،ط1 ،2003 ،ص 110.

[3] -بربيه اميل، اتجاهات الفلسفة المعاصرة،تر:قاسم محمد،مر:القصباص محمد، منشورات دار الكشاف ،الإسكندرية،د-ط،1998،ص 31.

[4] -بربيه إميل،المرجع نفسه،ص33.

[5] - المرجع نفسه،ص 34.

[6] - المرجع نفسه ،ص ص111 -112 .

[7] - هوسرل إدموند ،الفلسفة علما دقيقا ،تر وتقديم: رجب محمود ،إشراف عصفور جابر ،المشروع القومي للترجمة ،القاهرة ،ط1 ،2002 ،ص6.

هو الموقف الطبيعي -بحسب هوسرل- لضعفه لذا كان على هوسرل تخطيه بهدمه، **فهو خطر يجب أن نأخذ حذرنا دائمًا منه كما يتحتم علينا محاربته بلا هوادة ..."**.[1]

لقد كان المطلب الدائم للفلسفة منذ بداياتها الأولى أن تكون علمًا دقيقً ،بل أن تكون ذلك العلم الذي يفي بأعمق المقتضيات النظرية للعقل، ويمكِّن من وجهة نظر أخلاقية، دينية، من قيام حياة تحكمها معايير العقل الخالصة ، كان هذا مطلب عصور مختلفة بدرجة تتفاوت قوّة و ضعفًا، لكن الفلسفة لم تستطع في أي عصر من العصور تحقيق هذا المطلب. أي: أن تكون علمًا دقيقًا، حتّى في العصر الحديث الذي مضى تقدمًا بالرغم من كل ما في اتجاهاته الفلسفية من تعدد وتعارض في مسار موحد في جوهره، ابتداءًا من عصر النهضة إلى وقتنا فيؤكد هوسرل أنّ الطابع الغالب على الفلسفة الحديثة لا يقوم في استسلامها بطريقة ساذجة للنزوع الفلسفي ، بل يقوم على أن تبني نفسها علمًا دقيقًا عن طريق تأملها النقدي، لكن الفلسفة تفتقر إلى الطابع العلمي الدقيق[2]. **يقول هوسرل :" إنّ العلم يطلب حقائق يثبت صدقها نهائيًا بالنسبة لكل إنسان وفي كل زمان ،وبموجب ذلك فهو يطلب إثباتات Bewacharungen من نوع جديد تساق من الاكتمال فهو يتبع رغم ذلك الحقيقة المطلقة أو الحقيقة الأصلية علميًا وينطلق بمقتضى ذلك في أفق لا متناه من التعريفات الثابتة باتجاه الفكرة، وهذه التعريفات يعتقد العلم بإمكانه تخطي إدراكات تطلعه إلى كلية نسقية للمعرفة، أكان ذلك بالنسبة إلى وحدة مفترضة لكلية الموجودات إطلاقًا ،ذلك في حال كونها ممكنة وواردة، في النهاية هي تتضمن بداهة وسياقا متناسقين في طبيعة الأشياء ذاتها بحيث لا يتم انتقاؤهما على نحو تعسفي."**[3]

لقد حققت بعض العلوم علميتها؛ وهو ما تطمح إليه الفلسفة، فهل هذا يعني أن الفلسفة ليست علم بنظر هوسرل ؟ نعم ولكن من الممكن أن تكون علما وعلما دقيقا أيضا .وهذا الإمكان يمدها بالعناصر التي تجعلها كذالك **يقول هوسرل:" إنّ الفينومينولوجيا هي الفلسفة الوحيدة الجذرية بحق"**[4].

---

1. - المصدر نفسه ،ص7.
2. - المصدر نفسه،ص 23.
3. - خوري أنطوان ،مدخل إلى الفلسفة الظاهراتية ،دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ، ط1، 1984،ص 118.
4. - سليم سلامة يوسف ،الفينومينولوجيا ،المنطق عند هوسرل ،ص37 .

تعني الفينومينولوجيا أن نترك الأشياء تظهر على ماهي عليه، أو تكشف عن نفسها، وهو عكس المعنى الذي اعتدنا عليه ، أي المعنى الذي يرى أننا نحن من يشير الى الأشياء[1]

والفينومينولوجيا في شقها الهوسرلي الخالص- شقها غير الوجودي- هي محاولة منهجية لتحليل البنى الأخيرة للوعي والخصائص الجوهرية للتجربة من أجل الوصول إلى المعطيات الخالصة، أي المعطيات المعراة من كل إضفاءات المعرفة الإنسانية على مختلف أنواعها، إذ لا يترك هوسرل مجالا للشك في أنّ المشكلة الأساسية لنقد المعرفة هي الوصول إلى وضع يسمح لنا بأن نحدس ماهية المعرفة، وبالتالي إلى أن نرى رؤية عيانية مباشرة كيف يكون الإدراك الصحيح واقعة لا يمكن الشك فيها حتّى نظريًا[2].

إن فلسفة النظرة العامة إلى العالم تعلم وفقًا لطريق الحكمة، أي أن يخاطب شخص شخصاً، يترتب على ذلك أنّ من يعلم وفقًا لأسلوب فلسفة من هذا القبيل هو وحده الذي يمكن أن يخاطب جمهورا عريضًا مصطفى بفضل طابع خاص وحكمة مميزة ،أو قد يسمى خادمًا للاهتمامات العملية السامية، الدينية والأخلاقية .

أمّا العلم فهو لا شخصي والذين يشتركون فيه ليسوا بحاجة الى الحكمة بل هم بحاجة إلى الموهبة النظرية ،لكنّه في مقابل الحيرة الميتافيزيقية ونزعة الشك التي سادت في العصر الماضي. إنّ عصرنا يحمل رسالة عصر عظيم ، وإن كان لا يعاني إلاّ من النزعة الشكّية التي حطمت وحلّلت المثل العليا القديمة غير الواضحة. وهو نتيجة لذلك يعاني من نقص تطور الفلسفة وقوتها ، التي لم تتقدم بعد بما فيه الكفاية، وليست علمية بالقدر الذي يتيح لها أن تقهر نزعة السلب القائمة على المذهب الشكي والتي تسمى باسم الوضعية ، لهذا يجب أن لا ننبهر نحن أنفسنا بأية أسماء مهما كانت عظيمة .

غير أن الفلسفة هي في ماهيتها علم البدايات الحقيقية, أو علم الأصول ...والعلم الذي يهتم بما هو جذري لابد أن يكون ، غير أنّ الفلسفة بقدر ما نرجع إلى أصولها النهائية، فإنّها تتعلق على التحقيق بماهيتها وهي علمها العلمي إنّما يتحرك داخل مناطق الحدس المباشر، فأنّ أكبر خطوة يجب على عصرنا الحاضر أن يقوم بها هي أن يتعرف أنّه عن طريق الحدس الفلسفي بالمعنى الصحيح ، أي بمعنى الإدراك الظاهراتي للماهيات

[1] - مفرج جمال ،الفلسفة المعاصرة من المكاسب إلى الإخفاقات ،دار العربية للعلوم ناشرون ،بيروت ،ط1 ،2009 ،ص75 .

[2] - بدران إبراهيم ،حنفي حسن وآخرون ،الفلسفة في الوطن العربي المعاصر ،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ،لبنان،ط2 ،1987 ،ص86 .

ينفتح ميدان لا حد له للعمل, ويقوم علم يكتسب بغير استعانة بكل المناهج الرمزية والرياضية غير المباشرة، وبغير استعانة بأجهزة المقدمات والنتائج . يكتسب كثرة من أدق المعارف وأكثرها حسمًا، لكل فلسفة مقبلة.[1]

قائمة المصادربالعربية:

1- هوسرل إدموند، أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترنسندنتالية، تر: مصدق إسماعيل، مر:كتورة جورج، المنظمة العربية للترجمة، بيروت – لبنان، ط1، 2008.

2- هوسرل إدموند، الفلسف علما دقيقا، ترجمة وتقديم :رجب محمود، إشراف: عصفور جابر المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2002.

قائمة المصادربالأجنبية:

1- HUSSERL EDMUND ,la philosophie come sience regoureuse Traduit de l'allemand :MARC .B.LAUNAY ,impressions,en .I .16

Titulaire du la bel , imprime vert, France, avril 2009

- **قائمة المراجع بالعربية:**

1- أبو السعود عطيات، الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، منشأة المعارف جلال جزمي وشركائه، الإسكندرية،د.ط، 2002.

2- يونس آيز الفريد، الفلسفة في القرن العشرين، ترجمة ودراسة: درويش بهاء، مر: إمام عبدالفتاح إمام، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2006.

3- أحمد إبراهيم، أنطولوجيا اللغة عند مارتن هايدغر، الدار العربية للعلوم ناشرون/منشورات الإختلاف، بيروت- لبنان/ الجزائر العاصمة، ط1، 2008.

4 - الصرّاف الصايغ نوال، المرجع في الفكر الفلسفي، نحو فلسفة توازن بين التفكير الميتافيزيقي والبحث العلمي، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع، الإسكندرية، د.ط 1983.

5- الهويدي يحي، قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د- ط 1993.

6- بارة عبدالغني، الهيرمونيطيقا والفلسفة، نحو مشروع عقل تأويلي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الإختلاف، بيروت- لبنان/ الجزائر العاصمة، ط1 2008.

[1]- هوسرل إدموند ،الفلسفة علمًا دقيقًا،ص ص102 – 103.

بدران إبراهيم ،حنفي حسن وآخرون ،الفلسفة في الوطن العربي المعاصر ،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ،لبنان،ط2 ،1987

بونفقة نادية ،فلسفة إدموند هوسرل ،نظرية الرد الفينومينولوجي ،تقديم : عبد الرحمن بوقاف ،ديوان المطبوعات الجامعية ،بن عكنون ،الجزائر د(ط،س)

7- برييه إميل ،إتجاهات الفلسفة المعاصرة، تر: قاسم محمد، مر: القصباص محمد منشورات دار الكشاف، الإسكندرية، د.ط، 1998.

8- حنفي حسن، في الفكر الغربي المعاصر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الحمراء- بيروت، ط4، 1990.

9- خوري أنطوان، مدخل الى الفلسفة الظاهراتية، دار التنويرللطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 1984.

10- زيدان محمود فهمي، مناهج البحث الفلسفي، تق: محمد فتحي عبدالله، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط5، 2005.

11- سليم سلامة يوسف، الفينومينولوجيا- المنطق عند إدموند هوسرل، دار التنوير للطباعة والنشر، د.ط، 2001.

12- علاء مصطفى أنور، علاقة الفلسفة بالعلوم الإنسانية- دراسة في فلسفة ميرلوبونتي،دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د- ط، 1994.

13- غيورة فريدة، اتجاهات وشخصيات في الفلسفة المعاصرة، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة- الجزائر، د- ط، 2002.

14- كامل فؤاد، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجيل للطباعة والنشر، بيروت لبنان ط1، 1993.

15- كرم يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، ط 5 د.س.

16- مصطفى إبراهيم إبراهيم، نقد المذاهب المعاصرة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشروالتوزيع، د.ط،1999.

17- مصطفى عادل، فهم الفهم- مدخل الى الهيرمونيطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادامير، دار النهضة العربية للنشر، بيروت- لبنان، ط1، 2003.

18- مفرج جمال، الفلسفة المعاصرة من المكاسب الى الإخفاقات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت- لبنان، ط1، 2009.

19- يعقوبي محمود، الوجيز في الفلسفة، دراسات الكتاب الحديث للنشر، القاهرة د،ط 2005.

- **قائمة الموسوعات والمعاجم:**

1- كرم يوسف، المعجم الفلسفي، دار قباء لدنيا الطباعة والنشر، القاهرة، د(ط،س).
2- طرابيشي جورج ،معجم الفلاسفة ،دار الطليعة للطباعة والنشر ،بيروت، لبنان ،ط3، 2006

المجلات:

- مصدق إسماعيل، الفلسفة في عصر العلم والتقنية، نظرة فينومينولوجية، توفيق رشيد للأبحاث والدراسات الفلسفية، المغرب